دراسات فی العلوم الانسانیه
۲۶(۱)، ۱۴۴۱/۱۳۹۸/۲۰۱۹، صص۱-۱۶
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir

النفسيات المتباينة لشخصية البطل عند الطيب صالح، دراسة دلالية

زهره قربانی مادوانی[۱]، مينا عربي[۲]*

۱. أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي
۲. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائي

تاريخ الوصول: ۱۴۴۰/۸/۲۸ تاريخ القبول: ۱۴۴۱/۳/۲۸

الملخّص

تتميّز شخصيات البطل في روايات الطيب صالح بسمات ودلالات كثيرة، أبرزها شخصية «مصطفى سعيد عثمان» بصفته بطل الرواية؛ حيث يتميّز بنفسيات متباينة وتصرّفات متناقضة، تحيّر القارئ وتضعه تلقاء لوحة غير واضحة. وعلى الرغم من ذلك، فإنّ طرح هذه السلوكيات المتناقضة على بوتقة البحث السيميائي سيساعد على رسم صورة واضحة عنه، تفسّر هذه التصرّفات وتشفّر رموز تعاملاته مع مختلف الناس من شتّى الأعراق. وقد اعتمدنا في هذا البحث اللساني-السميائي منهج الدراسات الوصفي – التحليلي، ليتبيّن أنّ مصطفى سعيد يمثّل عالم السود المظلوم ضدّ عالم البيض الظالم، حيث لا يرى طريق التخلّص مما هم فيه في الانتقام – حسبما يرسمه الكاتب، بل في اعتماد القدرات النفسية وبذل المساعي للتزوّد بالعلوم الحديثة والتمسّك بها لتغيير الظروف الراهنة والسير إلى عالم أفضل.

الكلمات المفتاحية: البحث الدلالي، بطل الرواية، مصطفى سعيد، الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال

۱. المقدمة

إن السيميوطيقا علم عريق ومنهج قديم يستعان به للاهتداء من الدلالات إلى الأنظمة السائدة على ظاهرة ما ومواصفاتها، وقد تمّ تطبيقها ولايزال في مختلف العلوم ولاسيّما في علم الطبّ، غير أنّ فردينان دي‌سوسير يُعتبر أوّل من قدّم هذا المنهج كعلم مستقلّ يحمل عنوان «مكانة اللغة في الأحداث البشرية: السيميوطيقا». إنّه بصفته لغويّاً رأى علاقة الدلالات نتيجة تواصل الدلالات ومدلولاتها الذهنية. على أنّه ليس العالِم الوحيد في مجال هذا العلم، بل يمكن التلميح من أقرانه إلى أمثال تشارلز سندرس بيرس، إلّا أن بيرس كان يرى نطاق السيميوطيقا أوسع بكثير، ويوظّفه في مجال علم المنطق ومنهج الفكر أيضاً (أنظر: كوبال، ۱۳۸۶ش،۵۰). وفي الواقع فإنّ مصطلح السيميائية الأدبية، من الناحية النظرية، مستعار من علم الطبّ، ومن ناحية التطبيق، فإنّ هذا العلم يساعد على تحليل الأعمال الأدبية ونقد النصوص وفهم آراء الكاتب، بطريقة أحسن، من

* الكاتب المسؤول: E-mail: 7tharabi@gmail.com

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

خلال كشف النظم السائدة على علاقة النصّ بمنهج الكاتب الفكري.

وفي مجال تطبيق المنهج السيميائي في شخصيات الروايات، ينبغي القول إنّ عبارة «وظائف الشخصية» تعتبر من النتائج الهامّة للاتجاهات الأولى في المدرستين البنيوية والشكلانية؛ ما أبدعها بروب بالعمل على القصص العامّية، وأدّت جهوده إلى توسيع نطاق تطبيق المنهج السيميائي. (استون وساوانا، ١٣٨٢ش، ٥٠) يتتبّع العالم السيميائيّ مميّزات الشخصية الروائية ومواصفاتها، ويبحث في علاقة موضوع الرواية ومسارها بالملامح المرسومة للبطل أو الأبطال في القصة، فيركّز على الدلالات الدالّة على سلوكيات البطل، وكلماته، وأفكاره وأعماله، من خلال منهج يمكن اعتباره من أقسام النقد النفسي. أمّا من الناحية الصوتية–اللسانية فإنّ كشف علاقة الصوت الناتج عن تلفّظ اسم البطل، بالتأثيرات النفسية التي يتركها هذا الصوت في نفس القارئ، وبالأحرى كشف الصلة التي تربط بين دالّة الاسم وبين المدلول –شخصية البطل، مما يحظى بأهمية بالغة في نطاق سيميائية الشخصية الروائية، كما لا ننسى أثر الأنظمة الصرفية لاسم البطل، على تداخل العلاقات الداخلية بين شتّى جوانب الشخصية الروائية.

تمّ اختيار رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيّب صالح، الكاتب السوداني، كأفضل الروايات العربية للقرن العشرين من قبل أكاديمية دمشق، عام ٢٠٠١م (شاهين، ١٩٩٦م، ١٠٧)، وقد اعتنى الباحثون أكثر ما اعتنوا بنقدها، من منظار اعتبارها من طراز الروايات ما بعد الاستعمارية، وهناك أيضاً بحث لساني سيميائي، أخذ أسماء عدد من شخصيات هذه الرواية بالبحث.

١–١. أسئلة البحث

وسنركّز في هذه المقالة على شخصية البطل مجيباً عن الأسئلة التالية:

١– ما هي الدلالات السيميائية لشخصية البطل مصطفى سعيد، وكيف تفسّر؟

٢– ما قصد الكاتب من وصف بطل رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» بما وصفه به من نفسيات وسلوكيات؟

١–٢. خلفية البحث

هناك العديد من البحوث التي أخذت رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» مادة لها، ومنها الأطروحة الجامعية تحت عنوان: «تحليل رمان موسم الهجرة إلى الشمال بر مبنای کارکرد راوی و مصطفی سعید»، ومقالة «ثلاثة وجوه لمصطفى سعيد» لأحمد الزغبي؛ حيث اهتمّ فيها بتصوير مصطفى سعيد في عوالمه الثلاثة المختلفة، وكتاب «في الإيقاع الروائي» الذي يعالج سلوكيات شخصيتي الرواية الرئيسيتين بهدف كشف مستوى العلاقة التي تربطهما ببعض، وكتاب «الشرق والغرب، الرحولة والأنوثة» لجورج الطرابيشي؛ حيث اعتنى فيه بتحليل الشخصيات العربية في الرواية، ضمن رسم علاقة بين ضدّية الشرق والغرب والجنس، ومقالة «غرب مداری یا شرق‌گریزی در رمان‌های عربی، بررسی آثار یحیی حقی، سهیل ادریس، الطیب

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

صالح» لرضا ناظميان، وقد اهتمّ فيها بدراسة مقارنة بين الروايتين «قنديل أمّ هاشم» ليحيى حقّي و«الحى اللاتينى» لسهيل إدريس وبين الرواية «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح. ركّزت هذه الأعمال كلّها على قضيّة ضدّية الشرق والغرب، واختلاف العقائد الشرقية والحريّات الغربية؛ إلا أنّنا قد ألقينا الضوء على هذه الرواية من منظار الدراسات السيميائية لتشفير الرموز المختبئة تحت شخصية مصطفى سعيد؛ بطل الرواية.

وهناك مقالة تحت عنوان «أسماء الشخصيات في رواية: موسم الهجرة إلى الشمال دراسة لسانية سيميائية» تمّ نشرها في مجلة الآداب، إنّ الشبه الواقع بين عنوانها وعنوان مقالتنا هذه، قد يوقع المتلقّيَ في خطأ اعتبار المقالتين واحداً، إلّا أنّ التدقيق فيهما يكشف عن اختلافهما عن بعض؛ فإننا قد ركّزنا على شخصية البطل (مصطفى سعيد) وتناولنا دراستها من شتّى الجوانب، فضلاً عن ذلك فإنّ التحاليل مختلفة أيضاً.

يعتبر هذا البحث من البحوث النظرية، والمنهج المعتمد فيها منهج الدراسات الوصفي- التحليلي، وقد اعتمدت الكاتبتان في المقدمات على منهج دراسة المكتبات، وفي الجزء الرئيس للمقالة أي في تحليل اسم مصطفى سعيد من مختلف الجوانب الصرفية والدلالية والصوتية وكشف العلاقة بين الدلالات السيميائية لهذا الاسم وبين مضمون الرواية، فقد اعتمد على منهج الوصفي التحليلي.

٢. رواية «موسم الهجرة إلى الشمال»

نُشرت رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» للمرة الأولى عام ١٩٦٦م في دار العودة بلبنان، بعد انتشارها في مجلة الحوار. تحكي هذه الرواية قصة حياة مصطفى سعيد، العبقريّ الأسود البشرة السوداني، الذي صعد سلّم العلم سريعاً بسبب ذكائه الغزير، ولم يجد المعلّمون ما يعلّمونه في بلده السودان، فبعثته الحكومة إلى مصر ومن ثمّ إنجلترا ليتابع دراساته العليا فيها وينال مرتبة الأستاذ في أفضل الجامعات الغربية، ثمّ طُرِد من المجتمع الغربيّ بعد علاقاته الجنسية اللامشروعة بعدد من النساء الإنجليزيات؛ حيث لاقين حتفهن بسببه أو بيده، فألقي في السجن لسبعة أعوام، ثمّ عاد إلى بلاده السودان في فترة الحيرة التالية لفترة السجن، واختار قرية صغيرة على ضفاف النيل مسكناً له، دون التعريف بنفسه، فعاش فيها غريباً وتزوّج من إحدى بنات القرية وأصبح مصدر تطورات معيشية وثقافية في القرية، ثم اختفى في ليلة عاصفة فاض فيها النيل وانتشر أنّه مات، وانتحرت زوجته بعد أن أكرهت على الزواج بشيخ كبير السنّ وقتله. وقد رويت الرواية على لسان أحد مواطني القرية، العائد من بعثة علمية إلى إنجلترا، حيث اكتشف أنّ له سرّاً يستره وأنّه ليس رجلاً ساذجاً كما يبدو، فبدأ يكشف سرّه، فعرف جانباً من حياة مصطفى قبل اختفائه وجوانب عنها بعده، فإنّ مصطفى جعله كفيلاً لولديه وائتمنه على ماله، وكان هو الوحيد الذى دخل غرفة مصطفى سعيد المقفلة والتي لم يكن قد دخلها قبله إلا مصطفى سعيد نفسه، فرأى صوره وأثاثه وكتبه، وقرأ عنه في دفتر شرح فيه مصطفى قصة حياته. تُدرَج هذه الرواية ضمن الروايات ما بعد الاستعمارية، وسبب نجاحها وتفوّقها على نظائرها من الروايات، حظوها بالتقنيات الروائية، كتعدّد الراوي، وانكسار الزمن، فضلاً عن تصويرها المضبوط

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

عن علاقة المستعمَر بالمستعمِر، ثم تحدّيها للإيديولوجيات السائدة في مواجهة ظاهرة الاستعمار والأمبريالية. (باغجرى ونيازى، ١٣٩٤م، ٦٤)

٢-١.الشخصيات الروائية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال:

أول شخصية نلتقي بها في رواية الطيب صالح هو شخصية الراوي، الذي لا نسمع له اسماً إلى نهاية القصة رغم حصوره في جميع المشاهد. وقد صدر الإغفال عن التسمية عن قصد التركيز على شخصية البطل في المواقف كلّها ولاسيّما تلك التي يجتمع الراوي بمصطفى؛ حاضراً كان أو غائباً. إلا أنّ الكاتب وصفه للقارئ شابّاً قضى سبعة أعوام من عمره في دراسة الأدب الإنجليزي، وعاش أبناء هذه اللغة على السطح، لا يحبّهم ولايكرههم (أنظر: صالح، ١٩٨٧م. ٥٣)، ويقول في صلته القلبية بموطنه: «كنت أطوي ضلوعي على هذه القرية الصغيرة، أراها بعين خيالي أينما ألتفت.. ولكنني من هنا، كما أنّ النخلة القائمة في فناء دارنا، نبتت في دارنا، ولم تنبت في دار غيرها» (م.ن: ٥٢-٥٣) هكذا يصفه لنا رجلاً محبّاً لموطنه ومواطنيه، رغم عيشه الطويل مع أناس غيرهم في بلد غربي، وفي الوقت نفسه، عارفاً بطرف مما عندهم من العلم الحديث الذي يساعد على العيش برخاء.

والشخصية الثانية البارزة -بغضّ النظر عن الشخصيات الهامشية كشخصيتي أبوي الراوي- هو مصطفى الذي سنفصّل الحديث عنه في المقالة. ثم يصل الحديث إلى زوجة مصطفى، إنّها «حسنة بنت محمود»، فالاسم ينقل الفكرة إلى المخاطب أنّها نشأت في عائلة عريقة تُحمَد خصالها، وهي أيضاً ممن تُحمد، كما وصفها مصطفى في وصيته للرواي بحكمة؛ حيث قال: «إنّي واثق بحكمتها» (م.ن: ٦٩) وكما قال عنها محجوب: «الحقيقة أنّ بنت محمود قد تغيّرت بعد زواجها من مصطفى سعيد.. كأنها شخص آخر.. كنساء المدن» (م.ن: ١٠٤)، وكما شبّهها الراوي بعود قصب السكّر قائلاً فيها: «وجهها وسيم، والعينان السوداوان الواسعتان يختلف فيهما الحزن والحياء» (م.ن: ٩٢)

ثمّ نتعرّف على ودّ الريس، وهو الذي يمثّل دوراً هامّاً في حياة زوجة مصطفى، كما يمثّل الرجل التقليدي السوداني الذي لا يكفّ عن الزواج من النساء، رغم شيخوخته، ولايبالي شيئاً في هذا الصدد، ولا يُستقبَح عمله عند الناس، بل يُعتَبر عملاً مقبولاً، ولو كانت المرأة بمثابة بنته في العمر. وقد اشتقّ اسمه من أصل «ريس» ونقرأ في لسان العرب في معناه: «راسَ يَريسُ رَيْساً ورَيَساناً: تَبَخْتر، يَكُونُ ... حَمى ظَهْرَهُ» (لسان العرب، ١٤١٤ق: ٦، ١٠٣)، والاسم يدلّ عليه؛ إذ نجده في القصة يتبختر برجولته وماله. ورأيه في زواج أرملة مصطفى، رغم شبابها ورغم إكراهها عن الزواج منه، محميّ لدى عامّة الناس؛ حيث يقول فيه محجوب: «أنت تعرف نظام الحياة هنا. المرأة للرجل، والرجل رجل حتى لو بلغ أرذل العمر»، فيتحسّرون على موته ويستقبحون فعلة أرملة مصطفى، لما قتلتها بعد إكراهها على الزواج منه.

ثمّ تسوقنا الرواية إلى التعرّف على شخصية «محجوب» وهو مزارع يمثّل عن الشبّان السودانيين، رجل اكتفي في التعليم المدرسي بتعلّم الكتابة والقراءة والحساب، لكتابة الخطابات وقراءة الجرائد ومعرفة فروض الصلاة، واستمرّ على نهج آبائه

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

وأجداده على المزارعة، وقد وصفه الراوي بـ «الطاقة الفعالة في البلد» (صالح، ١٩٨٧م: ١٠١)، ودعاه ناجحاً قائلاً له: «أنت الذي نجحت..لأنّك تؤثّر على الحياة الحقيقية في البلد.. الناس أمثالك هم الورثاء الشرعيون للسلطة، أنتم عصب الحياة. أنتم ملح الأرض» (م.ن: ١٠٢). رغم هذا الذي يعتقده الكاتب في شبّان موطنه، فإنهم محجوبون عن حقوقهم في السلطة.

بنت مجذوب هي الشخصية التي رسمها الكاتب عن المرأة السودانية، إلّا أنّه يضعها في موضع مختلف عن عامّة النساء السودانيات، لسلوكياتها التي قرّبتها وشبّهتها إلى رجل، فقال فيها على لسان الراوي: «كانت بنت مجذوب امرأة طويلة لونها فاحم مثل القطيفة، مايزال فيها .. وهي تقارب السبعين بقايا الجمال. وقد كانت مشهورة في البلد، يتسابق الرجال والنساء على السواء، لسماع حديثها لما فيه من جرأة وعدم تحرّج. وكانت تدخّن السيجارة وتشرب الخمر وتحلف بالطلاق كأنها رجل» (م.ن: ٨٠). فإنها كما يوحي بذلك اسمها، موضع إقبال واهتمام، فتجذب الناس إليها بكلامها الجرئ.

ومن الشخصيات التي اهتمّ به الكاتب شخصية أبي أحمد؛ جدّ الراوي. يبدو أنّ الكاتب قد اختاره مثالاً عن الوطن. فيحمده من حين إلى حين، ويعرّفه موضع السكينة والاستقرار، ويعبّر عنه بالكيان العتيق قائلاً فيه على لسان الراوي: «.. ولكنني حين أعانق جدّي أحسّ بالغنى، كأنّني نغمة من دقّات الكون نفسه. إنّه ليس شجرة سنديان شامخة وارفة الفروع في أرض منّت عليها الطبيعة بالماء والخصب، ولكنه كشجيرات السيال في صحاري سودان، سميكة اللحي حادة الأشواك، تقهر الموت لأنّها لا تسرف في الحياة. وهذا وجه العجب، إنّه عاش أصلاً – رغم الطاعون والمجاعات والحروب وفساد الحكام» (م.ن: ٧٧).

ونجد إلى جانب هذه الشخصيات السودانية، بعض شخصيات غربية مؤثرة على حياة مصطفى سعيد ويمكن الإشارة منهم إلى: مستر روبنسن وزوجته، وجين مورس؛ زوجة مصطفى الإنجليزية، وعدد من النساء الإنجليزيات هن: آن همند، وشيلا غرينود، وإيزابلا سيمور، اللواتي انتحرن بعدما أقمهن صلات جنسية مع مصطفى سعيد. وسنتطرّق إلى بعض هذه الشخصيات في خلال البحث قدر الحاجة.

٢-٢.البحث في شخصية البطل في رواية «موسم الهجرة إلى الشمال»

٢-٢-١. التعريف بشخصية البطل

إنّ «مصطفى سعيد عثمان»؛ بطل الرواية، ولد الجرأة والشجاعة، والانطواء الذاتي، والحزم، والعقلانية، والمثاليّة. إنّه سوداني من خرطوم، وأسود البشرة، أصبح يتيماً قبل ولادته. كان أبوه من قبيلة اشتهرت بالغيرة والشجاعة، ومن فاتحي السودان أواخر عهد المهديّين، أما أمّه فاطمة عبد الصادق؛ فاختفى شخصيتها العميقة التي تماثل البحر، تحت برقع من الصمت.

«شفتاها الرقيقتان مطبقتان في حزم، وعلى وجهها شيء كالقناع، لا أدري قناع كثيف، كأن وجهها صفحة بحر...» (صالح، ١٩٨٧م: ٢٣)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

إنّها قد تكون من إماء الجنوب، فتدرك عناء التحقير والذلّ، وتهتمّ باستقلال ولدها وتقدّمه، كما تعتقد أنّ ذلك من آمال زوجها أيضاً: «لو أن أباك عاش، لما اختار لك غير ما اخترته لنفسك، إفعل ما تشاء، سافر أو إبق، أنت وشأنك، إنها حياتك.» (م.ن: ٢٧)

أ.طفولة مصطفى سعيد

يمكن تقسيم حياة مصطفى سعيد إلى ثلاث مراحل: مرحلة الطفولة، ومرحلة الشباب، ومرحلة البلوغ الفكري. كان مصطفى سعيد في طفولته عديم الإحساس ومختلفاً عن أقرانه، وشجاعاً في أعماله وفي حديثه مع الكبار، وعبقريّاً سيء الظنّ بالأجانب، غير أنه يقبل عونهم.

«كنت أحسّ بأنّني..أنني مختلف. أقصد أنّني لست كبقيّة الأطفال في سنّي، لا أتأثر بشيء لا أبكي إذا ضربت، لا أفرح إذا أثني عليّ المدرّس في الفصل، لا أتألّم لما يتألّم به الباقون. كنت مثل شيء مكوّر من مطاط، تلقيه في الماء فلا يبتلّ، ترميه علي الأرض فيقفز.» (م.ن: ٢٤)

دخل مصطفى المدرسة في العصر الذي تأبى العوائل السودانية دراسة أولادهم في المدارس التي أنشأها المستعمرون، بدافع من استقلال الرأي وشوق للتطوّر والتقدّم، فختم المرحلة الإبتدائية في ثلاثة أعوام، معتمداً فيها على ذكائه الوافر.

«قيّدوا اسمي في سجلّ... وأجلساني في مقعد بين صبية آخرين...انصرفت بكل طاقاتي إلى تلك الحياة الجديدة. وسرعان ما اكتشفت في عقلي مقدرة عجيبة على الحفظ والاستيعاب والفهم... عقلي كان مدية حادة، تقطع في برود وفعالية... وبعد ثلاثة أعوام قال لي ناظر المدرسة، وكان إنكليزياً: "هذه البلد لا تتّسع لذهنك فسافر...» (صالح، ١٩٨٧م: ٢٥-٢٦)

ثمّ رحل إلى القاهرة، ودرس هناك ثلاثة أعوام في ظلّ عنايات الميستر رابنسن وزوجته. إنّ مصطفى سعيد لا يخاف الرحلة ولا يُقلقه البعد عن أهله الذي ينحصر في أمّه، ويتصرّف تجاه مشاعر الآخرين ببرودة وبلا روح، بحيث تقول ميسيز رابنسن التي تدعوه موزي، في وصفه، إنّها لا يمكنه تجاهل عقله.

«كانت مسز روبنسن تقول لي: "أنت يا مستر سعيد إنسان خالٍ تماماً من المرح". صحيح أنّني لم أكن أضحك. وتضحك مسز روبنسن وتقول لي: "ألا تستطيع أن تنسى عقلك؟» (م.ن: ٢٩)

رحل مصطفى سعيد إلى لندن وهو في الخامسة عشرة من عمره، وبذلك انقضت مرحلة طفولته ونشوئه، ودخل مرحلة الشباب.

ب- شباب مصطفى سعيد

تقدّم مصطفى سعيد في لندن بسرعة، فكان أستاذاً مساعداً يدرّس في كلّية الاقتصاد بإحدى جامعات لندن، وهو في الرابع والعشرين من عمره. (م.ن: ٣٦) وكان في الوقت نفسه يرأس جمعية الكفاح لتحرير أفريقيا، بدافع الحقد المكبوت في صدره ضدّ المستعمرين، بهدف تبيين دورهم في شقاء مواطنيه. (صالح، ١٩٨٧م: ١٢٢)

كان مصطفى سعيد متمتّعاً بمستوى عالٍ من ثقة النفس في مواجهته الإنجليزيين، مدة الدراسة والعمل في لندن، التي

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

استغرقت ثلاثين عاماً، وهو فضلاً عن نشاطاته العلمية، والسفر إلى مختلف البلدان الآسيوية والأوربيّة، يمارس الجنس، وله علاقات بالعديد من النساء الإنجليزيات، وقد قرّر في نفسه أن يأخذ بثأر أفريقيا من أوربّا، بقوته الجنسيّة.

«إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوربي الأكبر الذي لم يشهد العالم مثيله من قبل في سوم وفي فردان، جرثومة مرض فتّاك أصابهم منذ أكثر من ألف عام. نعم يا سادتي، إنّني جئتكم غازياً في عقر داركم. قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ.» (م.ن: ٩٨)

"كانت النساء تتساقط عليه كالذباب. كان يقول سأحّرر أفريقيا بـ...ي.» (م.ن: ١٢٢)

إنه دخل في علاقات جنسية مع العديد من النساء، طوال الأعوام التي عاشها في لندن ، فقتلت ثلاث منهن أنفسهنّ، وحُكِم عليه بسبعة أعوام من السجن بجريمة قتل زوجته الإنجليزية، وانتهت بذلك مرحلة شبابه وكذلك حياته في أوربّا.

ج. بلوغ مصطفى سعيد الفكري

دخل مرحلة البلوغ وهو يقضي مرحلة الحيرة التي انتدابته بعد قضاء فترة السجن، فعاد إلى السودان، وسكت عن هويّته وماضيه، وغضّ البصر على الراحة والاسترخاء، فلم يخدم الحكومة التابعة للاستعمار الإنجليزي، واختار قرية على ضفة النيل مسكناً له، أوى إليها لقضاء عيش هادئ في ما بقي من عمره واشتغل بالزراعة. إن الصورة التي رسم له الكاتب في فترة حياته بين مواطنيه مختلف تماماً عمّا اتّسم بها في لندن. فنجد مصطفى سعيد في هذه الفترة الجديدة، رجلاً حازماً عاقلاً وغامضاً في الوقت نفسه، يعيش بين القرويين كغريب ملتزم بالآداب الاجتماعية والدينية، بحيث لم يصدر عنه خلال الأعوام الخمسة التي مضت على إقامته بالقرية أيّ فعل مكروه، بل وقدّم العون لمواطنيه في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، ولم يكشف القناع عن وجهه ولم يخبرهم بعلمه بالعلوم الحديثة وباللغة الإنجليزية. فكان يشارك الناس في الأفراح والهموم، فيحترمونه ويذكرونه بخير وحتى كبارهم يحمدون عقله.

"وقال أبي إنّ مصطفى ليس من أهل البلد، لكنه غريب جاء منذ خمسة أعوام، اشترى مزرعة وبنى بيتاً وتزوّج بنت محمود.. رجل في حاله، لا يعلمون عنه الكثير.» (صالح، ١٩٨٧م: ٦)

وفي مقطع آخر:

"لكنه أردف، كأنه يعتذر، أنّ مصطفى طول إقامته في البلد، لم يبدو منه شيء منفر، وأنّه يحضر صلاة الجمعة في المسجد بانتظام، وأنّه يسارع "بذراعه وقدحه في الأفراح والأتراح.» (م.ن: ٩)

يشعر مصطفى برضى النفس وهو يعيش بالقرية ويعتبر نفسه من أبنائها، يتزوّج من إحدى بنات القرية ويُرزق بولدين، وأخيراً وبعد فترة قصيرة من عودة راوي القصة من رحلته العلمية إلى البلاد الأجنبية، ورغم معرفته الضئيلة به، يجعله وصيّاً له آخذاً في الاعتبار معرفته بأفكاره، بدافع تجربياتهما المشتركة في الرحلة إلى البلاد الغربية، آملاً توفيقه في تحليل سلوكياته وحياته، ويختفي ليلة فيضان النهر وهو يهوي الرحلة ويحمل في داخله مشاعر غامضة وغير قابل للإغماض تجاه المناطق المجهولة. يظنّ الناس أنّه غرق وبات جسده فريسة تماسيح النهر، وهكذا تصل حياة مصطفى في القرية إلى نهايتها، ويبقى السؤال: هل غرق

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

مصطفى في النيل أو رحل إلى الشمال؟

«كانت ليلة قائظة من ليالي شهر يوليو، وكان النيل قد أفاض ذلك العام أحد فيضاناته تلك، التي تحدث مرّة كلّ عشرين أو ثلاثين سنة... ولكن الجثث التي حملها الموج إلى الشاطيء ذلك الأسبوع لم تكن بينها جثة مصطفى سعيد.. وفي النهاية أخلدوا الرأي أنّه لابدّ قد مات غرقاً، وأنّ جثمانه قد استقرّ في بطون التماسيح التي يغص بها الماء في تلك المنطقة» (م.ن: ٤٩-٥٠)

٢-٢-٢. المستوى الصوتي لاسم البطل

يُعتبر البحث في انعكاس أصوات الحروف، عملية نفسية بكلّ وضوح، والغرض من التحليل النفسي الذي نجده في علم النفس، صدى المشاعر على المشاعر؛ لأنّه عملية تلقّي الإحساس بالتزوّد بجهاز الإحساس، والدراسة الباطنيّة للذهنيات، وبذلك، فإنّ الانطباع بأصوات الحروف بعد خروجها من مصادرها، عمليّة يتمّ تحقيقها من خلال التحليل النفسيّ؛ بحيث تنعكس مشاعر السامع على مشاعره الباطنية الناتجة عن سماع أصوات الحروف (أنظر: عباس، ١٩٩٨م: ٣٨)، وبعبارة أخرى، فإنّ الآثار الناتجة عن سماع الأصوات الصادرة عن حرف واحد، على نفس الباحث، يساعده على تمييز صفات ذلك الحرف ومميزاته الصوتية. إنّ الباحث في اللغة العربية يحصي بالنظر إلى مخارج الحروف، وكيفيية أدائها، وسهولة أدائها أو صعوبتها، أو أمثال ذلك، صفات لكلّ حرف، ويصنّفه ضمن مجموعات متعدّدة. (أنظر: م.ن: ٤٦) فتكوّنت من خلال هذه المراحل مجموعتا المصوّتات والصوامت؛ بحيث تمّ تصنيف جميع الحروف ما عدا حروف اللين في مجموعة الصوامت. (أنظر: م.ن: ٤٧) ليست كلّ أصوات اللين ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي؛ بل منها الأوضح. فأصوات اللين المتّسعة أوضح من الضيّقة، أي إنّ الفتحة أوضح من الضمّة والكسرة. كما أنّ الأصوات الساكنة ليست جميعها ذات نسبة واحدة فيه؛ بل منها الأوضح أيضاً. فالأصوات المجهورة أوضح من المهموسة. (أنيس، لا تا، ٢٨) لقد صنّف اللغويون الحروف العربية في مجموعتي الحروف المجهورة (ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن)، والمهموسة (س ز ص ش ذ ث ظ ف هـ ح خ) (أنظر: عباس، ١٩٩٨م، ٤٨)، وثلاث مجموعات الحروف الشديدة (ب ت د ط ض ك ق جيم قاهرية)، والرخوة (س ز ص ش ذ ث ظ ف هـ ح خ غ)، والمتوسطة (ر ع ل م ن). (أنيس: ٢٥-٢٦)

صنّف الباحث اللغويّ حسن عباس الحروف، تبعاً للخصائص الحسّية أو الشعورية الغالبة فيها، أو وفقاً لطبيعتها الصوتية الخاصّة، أو حسب طريقة النطق بها في مجموعات الحروف اللمسية (ت ث ذ د ك م)، والذوقية (ر ل)، والشمّية، والبصرية (همزه الف لين ب ج س ش ط ظ غ ف و ى)، والسمعية (ز ق)، والشعورية غير الحلقية (ص ض ن)، والشعورية الحلقية (خ ح هـ ع) (عباس، ١٩٩٨م، ٥٠)، وذكر لكلّ منها صفات حسب المجموعة التي وقعت فيها.

ونجد عند تطبيق هذه المعلومات الصوتية على اسم بطل رواية الطيّب صالح، أنّ اسم البطل (مصطفى) يتكوّن حسب الترتيب من حروف الميم، والصاد، والطاء، والفاء، وألف الممدود. ونظراً لما سبق ذكره، فإنّ هذه الحروف تبعث المشاعر التالية في نفوس السامعين: يوحي حرف الميم اللمسى بالليونة والمرونة والتماسك مع شيء من الحرارة (م.ن: ٧١)، ويعتبر من

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

مجموعة حروف (ل م ن)، التي تُسمع أوضح، وتكون أقربها إلى طبيعة حروف اللين إذا كانت ساكنة، حسبما قال فيها الباحثون (أنيس، لا تا: ٢٨). يُعتبر حرف الطاء؛ ثالث أحرف اسم البطل، من الحروف البصرية الشديدة المهموسة، ويوحي بأحاسيس المرونة والطراوة (عباس، ١٩٩٨م: ١١٨)، ولم يعثر على أية لفظة تشملها وتدلّ على مشاعر إنسانية، فليس في صوته الأجوف ما يثير فعلاً أية مشاعر إنسانية. (م.ن: ١٢٠) حرف فاء المهموس الرخو، الذي يصنَّف ضمن الحروف البصرية، فيوحي بملمس مخملي دافئ، كما يوحي بالبعثرة والتشتّت، لتكون الخصائص الصوتية لهذا الحرف موزّعة بين اللمسي والبصري. (م.ن: ١٣٠) أما حرف صاد الشعورى غير الحلقي الذي يُسمع بصفير خفيف، فيثير في النفس إيحاءات النقاء والصفاء والطهارة والبراءة والعِزة وقوة الشكيمة. (م.ن: ١٤٩) وعلى هذا الأساس، فإنّ كلمة (مصطفى) تتكوّن من ثلاثة أحرف بصرية، وحرف لمسي واحد، وحرف شعوري غير حلقي واحد أيضاً، وإنّ نصيب الحروف البصرية والصفات التي تحمّلها على هذه الكلمة أكثر من بقية الحروف، فنقول إنّ كلمة (مصطفى) كدالّ صوتيّ توحي بأحاسيس المرونة والطراوة، والصفاء والنقاء والبراءة من جانب، كما تثير في النفس إيحاءات الانسجام مع شيء من الحرارة، والفخامة، والعزة والتشتّت وعدم التساوم من جانب آخر. تبدأ الكلمة وتنتهي بحرفين يُسمعان بوضوح، ونهايتها أوضح من بدايتها، كما يُسمع في قلب الكلمة صوت الطرق في حرف الطاء المحاط بحرفين يوحيان بالصفاء والعزة قبله من جانب، وحرفين يوحيان بالحرارة والسكينة من جانب آخر. إن هذا التعليق الصوتي يصوّر حياة مصطفى سعيد تماماً؛ حيث عاش في المرحلة الأولى من حياته في سكينة وعزّة إلى جانب أمّه حيناً، وإلى جانب عائلة رابنسن حيناً آخر، كما توحي بذلك صفات حرفي (م) و(ص)، ثمّ نجده في المرحلة الوسطى من حياته، يعيش عيشة صعبة تترك في نفسه آثاراً كبيرة، وهذا ما يتناسب مع حرف الطاء وصفاته تماماً، وأخيراً في نهاية حياته، وفي الفترة التي عاشها في السودان، يعود إلى دفء الموطن وسكينته، فيتفوّق على ترك آثار واضحة ومتمادية حوله، وهذا ما نشعر به بعد سماع صامت فاء ومصوّت (ى).

أما اسم «سعيد» وهو ثاني أجزاء اسم «مصطفى سعيد» مشيراً إلى اسم أبيه، فقد تكوّنت من ثلاثة صوامت وهي: السين والعين والدال، ومن مصوّت واحد هو صوت «اي» (مدّ الكسرة). أمّا عن خصائص الأحرف فينبغي القول إنّ السين وهو أوّل أحرف اسم «سعيد» حرف مهموس رخو، ومن الحروف الصفيرية، دالّ في هذا الاسم على المشاعر الإنسانية (عباس، ١٩٩٨: ١٠٩). ثمّ يأتي الدور لحرف العين؛ حيث يتّصف صوته بتوسط في الشدة (م.ن: ٢٠٨). إن هذا الصوت من حيث صفاؤه ونقاؤه يمت بقرابة مماثلة إلى حرف الصاد، ومن حيث فخامته، فهو غير بعيد في قرابته عن حرف الضاد. أما من حيث توتره الصوتي، فهو ألصق طبيعة بحرف الزاي شدة وفعالية. ليبدو صوت العين بذلك وكأنه مزيج من خصائص أصوات هذه الحروف كلها. من متانة اللام وتماسكه، وصفاء الصاد وصقله، ونقاء النون وأناقته، ومن فخامة الضاد، وفعالية الزاي، ومرونة الألف والواو والياء (م.ن: ٢٠٩). وآخر أحرف اسم «سعيد» هو الدال وذلك صوت أصمّ أعمى مغلق، وهو حرف مجهور شديد لا يوحي إلا بالأحاسيس اللمسية وبخاصة ما يدل على الصلابة والقساوة وكأنه من حجر الصوان. فليس في صوت (الدال) أي إيحاء باحساس ذوقي أو شمي أو بصري أو سمعي أو شعوري، ليكون بذلك أصلح الحروف للتعبير عن معاني الشدة والفعالية الماديتين (م.ن: ٦٦). وانغلاق هذا الصوت على نفسه قد جعله في عزلة عمياء صمّاء عن أي

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

إحساس آخر أو مشاعر إنسانية (م.ن: ٦٧).

نلاحظ أنّ كلمة «سعيد» تبدأ بإيحاء الهمس والرخوة والصفير، فتُشعر بالصفاء والفخامة والفعالية والمرونة، في وسطها، ثمّ تنتهي بإيحاء الصلابة والقساوة. من جانب آخر، فإننا لا ننسى أنّ «سعيد» اسم أبي مصطفي، الذي نشأ منه واتّخذ منه صفاته، فنستخلص أنّ مصطفى ابن المشاعر الإنسانية الصافية والنقيّة والعريقة، كما هو ابن الصلابة والمقاومة وعدم الخضوع والاستسلام. وهكذا رسم لنا الطيّب صالح أبا مصطفى؛ حيث أعطاه ملامح مجاهد في سبيل الوطن وفي سبيل الحرية، يكنّ حبّا للوطن والمواطنين، وحقداً للأعداء. وقد ترعرع مصطفى في أحضان هذه المشاعر فحمل في قلبه ونفسه الحبّ والحقد توأمين، ليبذل كلّ الجهد في كفاح الأعداء –بطريقته– ويقدّم العون والخبرة والحبّ لمواطنيه في السودان.

٢–٢–٣. المستوى الصرفي والمعجمي لاسم البطل

تعتبر كلمة «مصطفى» اسم مفعول من أصل «صفي»، وهذا ما يدلّ على صفاء روح المسمّى به بالأصالة (المصطفوي، ١٣٦٨ش، ٦: ٣١٣) فما نجد فيه من صفات متناقضة لهذا الصفاء، آثار حمّلت عليه من خارج كيانه النقيّ. فكلمة الاصطفاء دالّة على النقاء من الجانب الخارجي (م.ن)، كما ذُكر في دلالات وزن «المفتعَل»: «يقال لكل شيء يسوَّى على غير مِثال تقدَّمه.» (لسان العرب، ١٤١٤ق، ١١: ٥٢٩) يمكن التوصّل إلى معانٍ جديدة لكلمة «المصطفى» التي تعدّ مشتقاً من باب الافتعال، بالنظر في دلالات هذا الباب. فمن معانيه القصد والاختيار؛ فالاصطفاء يعني الرغبة في الخلوص والصفاء «م.ن» بعبارة أخرى، فإنّ كاتب الرواية قد اختار اسم مصطفى للبطل، بهدف الإشارة إلى رغبته في تعريف مصطفى؛ بطل الرواية، بصفته سودانياً خالصاً، من جانب، والإشارة إلى رغبة مصطفى إلى ذاته الصافية النقيّة، مبتعداً عن العناصر الخارجية، من جانب آخر. ومن المعاني الأخرى لباب الافتعال، المطاوعة والتأثّر، وهذا مما يؤيّد تأثر روح مصطفى بما يدور حوله، وبذلك فإن شخصيّة مصطفى مزيجة من صفاء الذات والانطباع بالظروف التي عكّرت هذا الصفاء. إنّ صفاء روح «مصطفى سعيد» حصيلة موطنه البكر البعيد عن تكلفات العالم الحديث، ونتيجة الحظو بأبوين طيّبين، منح كلّ منهما قدراً من صفاء روحهما لولدهما مصطفى. أمّا الظروف المحيطة بمصطفى، فهي الاستعمار الإنجليزي. فإننا نجد إنجليزياً دعاه أوّل الأمر، لما كان يلعب مع الولدان في الأزقّة، للدراسة بالمدارس التي أنشأها المستعمرون الإنجليزيّون، فوضع اللبنة الأولى لتغيير مصيره. كذلك نجد الأجواء السائدة على خرطوم ومواطنيه، حيث كان الناس يعيشون الذلّ تحت رعاية المستعمرين، قد تركت آثاره في نفس مصطفى. كان أبو مصطفى مصدراً للتطوّر حوله، فاختير مصطفى أيضاً، ليكون مصدراً للتحوّل، غير أن الطريق وعر.

٢–٢–٤. المستوى الدلالي لاسم البطل

أ– مصطفى

إنّ كلمة (مصطفى) من الناحية اللغوية بمعنى المختار، وأوّل ما يتبادر إلى الذهن بهذا الاسم، أنه من ألقاب نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله)، وعلى الرغم من المسافة الكبيرة بين شخصية مصطفى بطل الرواية وشخصية الرسول الأكرم، فإنّهما يشاركان في صفة واحدة، هي أن بطل الرواية مختار من بين أبناء قومه أيضاً، ليمثّلهم ويكون لهم رمزاً يدلّ عليهم. إن

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

مصطفى سعيد سوداني بارع عبقريّ ذكيّ وسيم، ومثقّف ملتزم بالآداب، وعون لمواطنيه، ومغفل عن زخارف الدنيا، ووطنيّ مُكرم للمرأة، ومنعَم بروح الحرّية والأصالة.

لا يسمّي كتّاب الروايات أبطالهم عن صدفة، بل يختارها عن قصد يرمي إليه، ليدلّ الاسم على شخصية المسمّى، ويذكّر القارئ بها كلّما يُسمَع. فكذلك اسم مصطفى سعيد؛ فهو يمثّل أبناء السودان السود المتخلّفين عن العالم الحديث ومظاهرها، في مطلع القرن العشرين، أبناء أذكياء شجعان، استمدّوا من النيل نقاء أرواحهم، ولو أنعموا بنعمة استقلال الرأي وتخلّصوا من الفقر المعدم لتجلّت مواهبهم العقلية والعملية. إنّهم كانوا ولايزالون يعانون بنوعٍ ما، من الاستعمار والآثار المترتبة على عصر ما بعد الاستعمار، فتحملوا عناء الذلّ، ولا عجب لو تفيض قلوبهم بالحقد، وعقولهم بفكرة الانتقام، وهذا ما لن يتبعه الأمن والرقي. إنّ مصطفى سعيد مثال لهؤلاء الناس، فليس من أبناء مصر أو الجزائر، ليتمتّع بطرفٍ من مواهب الحداثة، بل هو من بلد السود الفقراء المتخلّفين. وفي الواقع، فإنّ مصطفى في هذه الرواية المصنّفة ضمن الروايات ما بعد الاستعمارية، مثال للمظلومين تجاه البيض المستعمرين، الذين ما إن أتوا للسود بما يبشّرهم بعالم حديث يواكب التطوّر والثروة والرخاء، حتى نهبوا ثرواتهم، ولم يريدوهم إلا أذلاء، غير أنّ منهم من يحبّ الثقافة الشرقية والحضارة المختبئة في صدر أفريقيا، ومثالهم في هذه الرواية عائلة رابنسن؛ حيث ذابت في الثقافة الشرقية – الأفريقية، فلا نجد في الرواية عنها إلا خيراً، فالميستر والميسيز رابنسن مصدرا الحنان والشفقة، ولو في أسوء الظروف (ارتكاب جريمة القتل)، ولو لورّاث هذه الثقافة (ولدي مصطفى سعيد). وهناك في زاوية العكس، نجد امرأة منتمية إلى هذا العالم الأبيض؛ حيث تمثّل الغرب المهدّم والمتبختر. إنّها جين مورس؛ زوجة مصطفى الإنجليزية. إنها وعلى الرغم من السحر المكتنف بها الذي يثير مصطفى لامتلاكها، لا تعبأ به ولا برغباته كزوج، بل تشوّشه وتثير غضبه بأدنى وأتفه الأسباب، فتستهزئ به، مرحة بتحكمها به، وتخونه وتحقّره، ولكن الجميع يعرفون في المحكمة التي قُبض عليها بجريمة قتل جين، أنّ القتل كان صدى ونتيجة لما ارتكبته. فقُضي عليه بالسجن سبعة أعوام، ليحوّل كيانه ويجعله يعود إلى أبناء بلده، بتجاربه التي ادّخرها في مرافقة البيض خلال إقامته بينهم، ليستبدل تزويد شعبه بثمار الحداثة، بتعليل النفس بأمل الانتقام، فيقهر الشقاء في بلده، فيعود إليهم ويعمل على تطوير حياة شعبه، ويترك بينهم ولديه ليحملا تراثه إلى الأجيال القادمة ويكونا لهم مصدر التطوّر والخير.

ب– سعيد

إنّ (سعيد) اسم أبي مصطفى، لكنه توفّي قبل ولادته، وبالأحرى فإنّ سعادة مصطفى ضاعت في الأعوام السالفة وتبدّدت في العصور التي يحارب أبوه ضدّ أعداء الحريّة وينتصر. أما الآن فهو ومواطنوه أسرى الاستعمار، وقد رحلت عنهم السعادة منذ فترة بعيدة، فتُركوا بلا حماية، كما ترعرع مصطفى بلا دعم من أبيه. لقد اختار الكاتب هذا الاسم لأبي مصطفى عن وعي؛ فكلمة (سعيد) صفة مشبهة تدلّ بطبيعتها على الثبوت، وقد اشتقت من مادة السعد الدالّ على اليُمن، والسرور، وحسن العاقبة. إنّ اختيار اسم سعيد لأبي البطل – حيث يضاف إلى اسمه أيضاً– يوحي في البداية بمصير جميل لمصطفى، ولكن الواقع لا يؤكّد ذلك؛ فحياة مصطفى مرّ لاذع، وليس فيه ما يبشّر بالسعادة. فهذه التسمية من باب التسمية بالعكس للتفأّل بالخير، فإنّ الكاتب في الواقع، قصد باختيار هذا الاسم، ومن خلال خلق ازدواجية ذهنية للقارئ، أن يذكّره فضلاً عن

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

المبادرة لزيادة الإثارة القصصية، أنّ السعادة حقّ الشعوب ولاسيما الشعب السودانيّ؛ فإنّ آباء هذا الشعب قاتلوا من أجل السعادة وبذلوا أرواحهم لها، فلا ينبغي أن يكون نصيب أبنائهم من الحياة الذلّ والشقاء والفقر الماديّ والثقافيّ. على أنّ هناك منهم من تعوّد على الحياة البدويّة، فلا يشعر بالخسران، ومنهم أمثال «حسنة بنت محمود» (أرملة مصطفى سعيد)؛ حيث يصّور مصيرها المسافة الشاسعة بين الحقيقة والمجاز في الشعور بالسعادة لدى النساء السودانيّات. جاء مصطفى إليها وعرّفها على منهج جديد في معاملة المرأة، فأبت أن تعود إلى ما كانت عليها سابقاً، بعد رحيل مصطفى. هذا ونجد مصطفى في جانب آخر، لا يشعر بالسعادة في علاقته بالنساء الغربيّات فترة إقامته في البلدان الغربية. إنّ المرأة الغربية رمز التطوّر والحريّة وجمال العالم الغربي، ورغم ذلك، فإنّ مصطفى لا يجد السعادة في هذه الزخارف، بل يفقدها. وفي الوقت نفسه، يجد السكينة والطمأنينة في نظرة «حسنة» الحادّة. إنّه يجد السعادة بجميع جوانبها، بعد عودته لأصله، فيعلّم مواطنيه أنّ السعادة داخلية ونفسية، وعليهم أن يحقّقوها بأنفسهم.

ج– أمين حسن (اسم مزيّف لمصطفى سعيد)

إن مصطفى سعيد طول إقامته بالبلدان الغربية، وعند تعرّفه على إحدى فرائسه المسماة بايزابلا سيمور، عرّف نفسه «أمين حسن»، ففضّلت أن تناديه «حسن»، ولكن ما هو الدافع من وراء اختيار هذا الاسم من بين الأسماء؟ يمكن تحليل ذلك من منظورين: من منظور المتلقّي الملمّ باللغة العربيّة والعالم بمعنى الاسم واللقب، ومن منظور ايزابلا الإنجليزية؛ فإنّ هذا الاسم لا يعدو أن يكون صوتاً لديها، وربّما اختارت صوت «حسن» لصلته الأشدّ بالأصوات الشرقية التي تعشقها. أما الأمر مختلف تماماً لدى المتلقي العالم باللغة؛ فإن اللافت له في اختيار هذا الاسم، البون الشاسع بين معنى الاسم المزيّف وبين شخصية مصطفى؛ فإنه لم يؤتمن على أمانة إلا على حقد كامن في قلبه تجاه الغربيين، والذي مازال عليه عاكفاً حتى تجلّى في قتل زوجته، فلا نجد عنده في صلاته الجنسية بالنساء الغربيات، اهتماماً بوديعة الحبّ في قلبه، ولا بمسؤولية تجاههنّ. أما بالنسبة لاختياره لقب «حسن»؛ فلا يعدو الأمر أن يدلّ على وجهه الوسيم، وإلا فهو في تلك الفترة من حياته وفي معاملته النساء الغربيّات، إنسان خبيث ذو سيرة مظلمة. فعلاً فإنّ الجزئين لهذا الاسم ثنائي الوجه، كشخصيته؛ شخصية مؤقرة، تُبطن شخصية حاقدة وقلقة وخبيثة وعديمة الإحساس.

٣. النتيجة

تمتاز رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» فضلاً عن تصويرها المحترف لقضية الأنا والآخر، بتوظيف الدلالات التي يمكن تمييزها في شتّى الأجزاء البصرية والسلوكية المنعكسة في الرواية. فضلاً عن ذلك، فإنّ الشخصيّات الحيّة والطبيعيّة المصوّرة في الرواية، تعتبر أحد وجوه براعة هذا العمل الأدبي الأخرى. إنّ أبرز الشخصيات في هذه الرواية، شخصية «مصطفى سعيد» البطل، بحيث نجده حاضراً في كلّ الرواية ولو بعد موته. تبيّن من خلال تحليل هذه الشخصية من الناحية السيميائية:

– أنّ مصطفى سعيد سوداني وسيم أسود البشرة، وعبقريّ يتيم، ووطنيّ مكافح في سبيل الحريّة – بمناهج غريبة أحياناً–

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

عاد من عالم الحيرة إلى ذاته وأصبح مصدر التأثير فيما حوله. جعله سواد بشرته رمزاً للإفريقيّ المضطهد والمكبّل بقيود الاستعمار، كما جعلته صورته الوسيمة الشرقيّة رمزاً لجمال طبيعة السودان وصفاء أرواح الشعب السودانيّ، وعبقريتَه رمزاً للبراعة والذكاء الغزير، وحقدَه الغريب المتجسّد في عهارته رمزاً للحقد الأعمى وحيرة الشعب السوداني في مواجهة الاستعمار، والهبةَ العلمية التي يحملها رمزاً للسعادة التي يبشر بها الكاتب أبناء بلده والطريق الذي يرشدهم إليه لنيلها.

– أنّ مصطفى يمثّل الشعب السودانيّ الفقير والمظلوم الذي تُرك فرداً، على الرغم من استحقاقه للدعم والحماية، غير أن الوطن الأمّ الذي يتجسّد في النيل يريدهم سعداء متقدّمين، لكن الاستعمار الأبيض قيّدهم ونهب ثرواتهم وتركهم متخلّفين. فتصوير العالم الأسود إلى جانب العالم الأبيض يوحي بالرمادي الموحي بموت الأحاسيس والأفكار والأجساد. هناك سبيلان أمام هذا الشعب: الانتقام والتحوّل. يدعو الطيّب صالح؛ كاتب الرواية، الشعب السودانيّ بالتطوّر والتحوّل، مصوّراً لهم المصير الذي ينتهي إليه كلّ من السبيلين، تصويراً روائياً، فيبيّن لهم أن الطريق إلى التطوّر وعر، ولا يحقّقونه إلا بتغيير منهج حياتهم.

المصادر والمراجع:

الكتب:

١. ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، محمد بن مكرم بن علي. ١٤١٤(ق). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

٢. أنيس، إبراهيم. (لا تا). الأصوات اللغوية. مصر: مكتبة نهضة مصر.

٣. شاهين، محمد. (١٩٩٦م). الأدب والأسطورة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٤. صالح، الطيّب. (١٩٨٧م). موسم الهجرة إلى الشمال. بيروت: دار العودة.

٥. عباس، حسن. (١٩٩٨م). خصائص الحروف العربية ومعانيها. دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب.

٦. محمدية، أحمد سعيد. (٢٠٠٧م). الطيب صالح عبقري الرواية العربية. بيروت: دارالعودة.

٧. المصطفوي، حسن. (١٣٦٨ش). التحقيق في كلمات القرآن الكريم. تهران: مركز نشر آثار علامه مصطفوی.

٨. اليسوعي، روبرت ب.كامبل. (١٩٩٦م). أعلام الأدب العربي المعاصر ج١و٢. بيروت: مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر.

المقالات:

٩. استون، الين؛ ساوانا، جرج. ١٣٨٢ش. «نشانه شناسی شخصیت». المترجم: داوود زینلو. فصلية هنر. العدد ٥٥. صص ٦٣-٤٨

١٠.باغجري، كمال؛ نيازي، شهريار. ١٣٩٤ش. «خوانش پسا استعماری رمان موسم هجرت به سوی شمال اثر الطيب صالح». مجله أدب عربي. السنة السابعة. العدد ١٦. صص ٨٦-٦١

١١.كويال، عطاءالله. (١٣٨٦ش. «فراز و فرود نشانه شناسی از دانش تا روش». مجله باغ نظر. السنة الرابعة. العدد ٧. صص ٣٩-٤٨

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

References

Books:

[1] Abbas, Hasan (1998). *Characteristics and Meanings of Arabic Letters*. Damascus: Publications of the Arab Writers Union.

[2] Al-Mostafawi, Hassan (1989). *Investigation of the Words of the Holy Qur'an*. Tehran: Allameh Mostafavi Publishing Center.

[3] Alyasuee, Robert B. Campbell (1996). *Flags of Contemporary Arabic Literature* (1&2). Beirut: Center for Studies of the Contemporary Arab World.

[4] Anis, Ebrahim (Undated). Al-Aswat al-Loghawiah (Linguistic Sounds), Egypt: The Renaissance Library of Egypt.

[5] Ibn Manzur al-Ansari al-Rowaifaee al-Efrighi, Mohammad Ibn Mokrem Ibn Ali (1993). *Lisan al-Arab*. Beirut: Sader Publishing Center.

[6] Mohammadiah, Ahmad Saeed (2007). *Tayeb Saleh Genius, the Arabic Novel*. Beirut: Oudah Publishing Center.

[7] Shahin, Mohammad (1996). *Al-Adab wa al-Ostoorah* (Literature & The Legend). Beirut: Arab Foundation for Studies and Publication.

[8] Tayeb, Salih (1987). *Season of Migration to the North*. Beirut: Oudah Publishing Center.

Articles:

[1] Baghjery, Kamal; Niazi, Shahriar (2015). 'Post-colonial Reading of the Novel: Season of Migration to the North', by Tayeb Salih. *Arabic Literature*. 4(16): 61-68

[2] Kupal, Ataollah (2007). 'The Ups and Downs of Semiotics from Knowledge to Method'. *Baghe Nazar* 4(7): 39-48

[3] Stone, Allan; Savannah, George. (2003). 'The Semiotics of Personality'. Translated to Persian by: Dawood Zeinlu. *Honar Quarterly*. 55(48-63).

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

The Contradictory Faces of Protagonist Characters in the Works of Tayeb Salih: A Semantics Study

Zohreh Ghorbani Madavani[1], Mina Arabi[2*]

1. Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Allameh Tabataba'i University, Tehran, Iran
2. PhD in Arabic Language and Literature, Allameh Tabataba'i University, Tehran, Iran

Abstract

The protagonist characters in Tayeb Salih's works are characterized by many features; the most notably Mustafa Saeed Osman which is the prominent and challenging one. He shows a completely different personality to the readers with his multidimensional characters. Putting these contradictory behaviors on the linguistic-semiotic course of research will help us draw a certain pattern of this protagonist and interpret his paradoxical behaviors based on the obtained pattern. Using this science in the analysis of Mustafa Saeed, it becomes clear that he is a representative of the dark world of the poor, with the author believing that one should not resort to revenge to free themselves from their current situations but must try, relying on his inborn talents and attempt to master the modern science, to change the status quo and turn it to a better world.

Keywords: Semantics and Linguistic Study; Protagonist Character; Mustafa Saeed; Tayeb Salih. Season of Migration to the North.

* Corresponding Author's E-mail: 7tharabi@gmail.com

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]

وجوه متضاد شخصیت قهرمان داستان طیب صالح، درپژوهشی نشانه شناختی

زهره قربانی مادوانی [۱]، مینا عربی [۲]*

۱. استادیار زبان و ادبیات عرب دانشگاه علامه طباطبائی
۲. دکتری زبان و ادبیات عرب ، دانشگاه علامه طباطبائی

چکیده:
شخصیت‌های داستان نزد طیب صالح، مفاهیم و نشانه‌های بسیاری را در خود نهفته دارد. در میان این شخصیت-ها، شخصیت «مصطفی سعید عثمان» قهرمان داستان از همه برجسته‌تر و چالش برانگیزتر است، که روحیات و رفتارهای متنقاقضی از خود بروز می دهد و بدین واسطه خواننده را سردرگم کرده وگویی در مقابل یک تابلوی نامفهوم قرار می دهد. به رغم این امر، بررسی نشانه‌شناسانه این شخصیت چندوجهی می‌تواند با ارائه یک الگوی مشخص از او، به تفسیر رفتارهای بعضاً متناقض او کمک کرده و از کدهای رفتاری چندگانه او با افراد مختلف رمزگشایی کند. در این مقاله با کاربست روش توصیفی-تحلیلی روشن شد که مصطفی سعید نماینده‌ای از دنیای سیاه مستضعف در برابر دنیای سفید ستمگر است، که به اعتقاد نویسنده رمان، باید راه رهایی از وضعیت موجود را نه در انتقام، بلکه در تکیه بر توانایی‌های خدادادی و با تلاش در جهت تسلط بر علم روز، در جهت تغییر شرایط موجود و چرخش به سمت دنیای بهتر جستجو کند.

کلیدواژه ها: بررسی معنایی و زبانی – قهرمان رمان – مصطفی سعید- الطیب صالح – موسم هجرت به شمال

* نویسنده مسئول مقاله: E-mail: 7tharabi@gmail.com

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-17]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1441.26.1.1.3]